

تفسير البحر المحيط

@ 100 { صَدَقَ اللَّهُ } : لم يكذبه ، وإِ تعالٰ منزله عن الكذب وعن كل قبيح .
وصدق يتعدى إلى اثنين ، الثاني بنفسه وبحرف الجر . تقول : صدقت زيداَ الحديث ، وصدفته
في الحديث ؛ وقد عدها بعضهم في أخوات استغفر وأمر . وقال الزمخشري : فحذف الجار وأوصل
الفعل لقوله تعالى : { صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللّٰهَ عِلَآئِهِ } . انتهى . فدل
كلامه على أن أصله حرف الجر . وبالحق متعلق بمحذوف ، أي صدقاَ ملتبساَ بالحق .
لَتَدَّخُلُنَّ { : اللام جواب قسم محذوف ، ويبعد قول من جعله جواب بالحق ؛ وبالحق قسم
لا تعلق له بصدق ، وتعليقه على المشيئة ، قيل : لأنه حكاية قول الملك للرسول صلى الله عليه
وسلم) ، قاله ابن كيسان . وقيل : هذا التعليق تأدب بآداب الله تعالى ، وإن كان الموعود
به متحقق الوقوع ، حيث قال تعالى : { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ
غَدًا * إِلَّا لَآ أَن يَشَاءَ اللّٰهُ } . وقال ثعلب : استثنى فيما يعلم ليستثنى الخلق
فيما لا يعلمون . وقال الحسن بن الفضل : كأن الله علم أن بعض الذين كانوا بالحديبية يموت
، فوقع الاستثناء لهذا المعنى . وقال أبو عبيدة : وقوم إن بمعنى إذ ، كما قيل في قوله :
{ وَإِن زَآءَا إِن شَاءَ اللّٰهُ * بَرَكُمُ } . وقيل : هو تعليق في قوله : { اللّٰهُ
ءَامِنِينَ } ، لا لأجل إعلامه بالدخول ، فالتعليق مقدم على موضعه . وهذا القول لا يخرج
التعليق عن كونه معلقاَ على واجب ، لأن الدخول والأمن أخبر بهما تعالى ، ووقعت الثقة
بالأميرين وهما الدخول والأمن الذي هو قيد في الدخول . و { ءَامِنِينَ } : حال مقارنة
للدخول . ومحلقيين ومقصرين : حال مقدرة ؛ ولا تخافون : بيان لكمال الأمن بعد تمام الحج .

ولما نزلت هذه الآية علم المسلمون أنهم يدخلونها فيما يستأنف ، واطمأنن قلوبهم ودخلوها
معه عليه الصلاة والسلام في ذي القعدة سنة سبع وذلك ثلاثة أيام هو وأصحابه ، وصدقت رؤياه
صلى الله عليه وسلم) . .

{ فَاعْلَمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ } : أي ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة ، ودخول
الناس فيه ، وما كان أيضاَ بمكة من المؤمنين الذين دفع الله بهم ، قاله ابن عطية . وقال
الزمخشري : فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى العام القابل .
انتهى . ولم يكن فتح مكة في العالم القابل ، إنما كان بعد ذلك بأكثر من عام ، لأن الفتح
إنما كان ثمان من الهجرة . { فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ } : أي من قبل ذلك ، أي من
زمان دون ذلك الزمان الذي وعدوا فيه بالدخول . فتحاَ قريباَ ، قال كثير من الصحابة :

هذا الفتح القريب هو بيعة الرضوان . وقال مجاهد وابن إسحاق : هو فتح الحديبية . وقال ابن زيد : خيبر ، وضعف قول من قال إنه فتح مكة ، لأن فتح مكة لم يكن دون دخول الرسول صلى الله عليه وسلم) وأصحابه مكة ، بل كان بعد ذلك . .

{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ } : فيه تأكيد لصدق رؤياه صلى الله عليه وسلم) ، وتبشير بفتح مكة لقوله تعالى : { لَيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ } ، وتقدم الكلام على معظم هذه الآية . { وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً } على أن ما وعده كائن . وعن الحسن : شهيداً على نفسه أنه سيظهر دينك . والظاهر أن قوله : { مَّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ } مبتدأ وخبر . وقيل : رسوله الله صفة . وقال الزمخشري : عطف بيان ، { وَالَّذِينَ } معطوف ، والخبر عنه وعنهم أشداء . وأجاز الزمخشري أن يكون محمد خبر مبتدأ محذوف ، أي هو محمد ، لتقدم قوله : { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ } . وقرأ ابن عامر في رواية : رسوله الله بالنصب على المدح ، والذين معه هم من شهد الحديبية ، قاله ابن عباس . وقال الجمهور : جميع أصحابه أشداء ، جمع شديد ، كقوله : { أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ } . { رُحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ } ، كقوله : { أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } ، وكقوله : { وَأَعْلَافٌ عَلَيْهِمْ } ، وقوله : { بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } . وقرأ الحسن : أشداء رحماء بنصيهما . قيل : على المدح ، وقيل : على الحال ، والعامل فيهما العامل في معه ، ويكون الخبر عن المتبداً المتقدم : تراهم . وقرأ يحيى بن يعمر : أشداً ، بالقصر ، وهي شاذة ، لأن قصر الممدود إنما يكون في الشعر ، نحو قوله : % (لا بد من صنعا وإن طال السفر وفي قوله : { تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً } دليل على كثرة ذلك منهم . وقرأ عمرو بن عبيد : ورضواناً ، بضم الراء . وقرء : سيمياهم ، بزيادة ياء والمد ، وهي لغة فصيحة كثيرة في الشعر ، قال الشاعر : %